مقدمات الترجمة الصحيحة

العلوم والمعارف جميعاً لا تعرف وطناً تستقرّ فيه ، ولا تؤمن بالقيود الاقليمية التي يفرضها علم الاجتماع الحديث على الحياة . فهي تتخطى التخوم التي أبدع الساسة والجغرافيون رسمها على الخارطة الجغرافية ، وتتحدّى الاقليميات الضيقة التي تقتضيها مطالب السياسة ، وتنتقل من ذهن إلى ذهن غير عابئة بعقبة اللغة ، وتتداعى لها العقول أيّاً كانت المذاهب والعقائد التي يدين بها أهل العلم والمعرفة . فالعلم إنسانيٌّ عام ، والمعرفة بشريّة شاملة ، فتنتقل العلوم والمعارف من مكان إلى آخر كانتقال الهواء من موضع إلى غيره بالانتشار والانسلال ، ساخراً من كلّ حدودٍ عيّنها البشر ، وكانتقال هاطلات الغيث من مشرقٍ إلى مغرب ومن شمالٍ إلى جنوب ، لا ترعى أتنزل على قومٍ من هذا القبيل أم من ذاك .

وهذا الطابع الإنساني البشري الشامل الذي يميز العلوم والمعارف قد اقتضى أن يكون بين اللسان واللسان تفاهم وتجاوب ، وأن يفهم العالِمُ العربيّ مثلاً ما يقوله العالِمُ الغربيّ ، وأن يستوعب علماء الألمان ما سبقهم إليه العلماء الروس ، وهذا حمّل المترجمين عبئاً ثقيلاً لأنه طالبهم بأن ينقلوا إلى لغى العالم الحية كل خطوةٍ من خطى العلم مهما ضؤل شأنها ، وكل كشف يهتدي إليه عالم ولو كان لسانه لهجةً دارجةً من مئات اللهجات الصينية ، وكلّ ظاهرةٍ طبيعيةٍ يرصدها راصد ولو كان أبكم معقود اللسان .

ويطيب للبعض أن يهوّن من شأن الترجمة والمترجمين فيزعم أن في عملهم آليةً ، وأن عجزهم عن الابداع في التأليف وجّههم شطر الترجمة لسهولة مأتاها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وانصياعها انصياعاً تلقائياً للمشتغل بها . ولئن كان الاشتغال بالترجمة زمناً مديداً يورث المترجم سرعةً ويُدنيه من الاتقان ، فإن ذلك ينبغي ألاّ يلقي في الوهم أن الترجمة عملٌ هين يُلمّ به من ضعفت أداته الأدبية ، ومَنْ استغلقت آفاق تفكيره دون الانتاج الأدبي المبدع . وفي هذا الصدد يُفتينا الدكتور يعقوب صرّوف برأيه الصائب فيقول : « وليست الترجمة بالأمر الهين بل هي صعبة ، وأصعب من التأليف ، لأن المؤلف طليق بين معانيه ، والمترجم أسير معاني غيره مقيد بها ، مضطر إلى إيرادها كما هي وعلى علاّتها ، إذا لزم الأمانة في الترجمة كما هو الواجب ، وإلاّ فليس مترجماً بل هو مصنف »[1] .

وقد تكون الترجمة السوقيّة السريعة عندنا عملاً ميسوراً لكل مجتهد أو قليل الدُّربة . أما الترجمة الفنية التي يُقام لكل لفظةٍ منها وزنٌ ومثقال ، والتي تتناول العلوم والمعارف على اتساع ميادينها ورحابة آفاقها ، فإنها تستعصي إلا على القلّة المتخصصة المجوّدة البصيرة التي يتعين عليها بادىء ذي بدء أن تفهم الموضوع الذي تتصدى لترجمته ، وأن تعرف مصطلحاته وألفاظه العلمية بلغتها الأصلية ، وأن تتقن إلى جانب ذلك قواعد اللغة العربية من نحوٍ وصرفٍ وبديع وبيان ، وأن تلمّ كذلك إلماماً دقيقاً بعبقرية اللغة العربية من حيث هي أداة للتعبير ، وبأساليب الاشتقاق والتعريب فيها حتى يتسنى لتلك القلة إيجاد ألفاظٍ عربية ، وتعريب ألفاظ أعجمية ، وسك تعبيرات تتداولها دوائر العلم في كل مقول ومكتوب ، مفصلةً اللفظ على قدر المعنى ، غير منفّرة الناس من تبني تلك المصطلحات .

وإتقان الترجمة عموماً يتأتّى إذا استقامت له أركانه القويمة . وأول تلك

---

(١) « يعقوب صروف العالم والإنسان » تأليف الدكتور فؤاد صرّوف ـ دار العلم للملايين ـ ص ٦٥ ـ ٦٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأركان التمكن التام من اللغات التي يشتغل بها المترجم . فالفهم يسبق النقل ؛ ولا بدّ لفهم المتن المراد نقله من إجادة اللغة التي كُتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذها وشواردها ، ولا بدّ قبل النقل من إجادة اللغة التي يُنقل إليها النص . فإذا قعدت أداة اللغة بالناقل ، عزّ عليه أن يترجم ترجمةً صحيحةً يُعوّل عليها ، وجاء كلامه مهلهلاً لا يضبط معنى ولا يؤدي رسالةً محددة الأهداف . وإذا جاءت المعاني فضفاضةً تُحمل على أمشاج من الاحتمالات فقد يسوغ هذا في أدب الانشاء والوصف حيث يصح للكاتب أن يحجب جزءاً من المعنى ليتيح للقارىء أن يتوسل بخياله إلى بلوغ ذلك المعنى الخفيّ أو المرموز إليه ، أما في الكتابة العلمية ، فلا مناص للألفاظ من أن تتحدد دلالاتها وتتسدد اتجاهاتها حتى لا ينصرف المعنى إلا إلى ما جال في خاطر واضع النص بحرفه وروحه . فالمترجم الضليع هو قبل كل شيء عالم لغوي مكين أمين . ولن تختلف هذه المعادلة في أي ظرف ، لأنه لا ترجمة مكتملة الخصائص إلا إذا أدتها لغةٌ صحيحة المقاييس وتلك قاعدة أولى بل عُظمى في كل ترجمةٍ يصحّ في عُرف العلم الأخذ بها والاستئناس بمدلولاتها .

والركن الثاني من أركان إتقان الترجمة هو المرانة على أيدي أساتذة خبراء أعلام . فالترجمة لا تُنال من معهد ولا تُدرس في الكتب ، بل تُقتنى أدواتها من تجارب الحياة بإشراف أساتذة حذقوا هذا الفن وصاروا من أفطابه المشهود لهم بالكفاية المطلقة . فبفضل هذه المرانة يتنبّه المترجم إلى ما قد يلتبس عليه من المعاني ، ويعرف نواحي القصور في ترجمته ، ويزداد بصراً بأساليب الترجمة القويمة ، ويعمق فهمه للفلسفة العامة التي تهيمن على صناعة الترجمة . والذي لا مرية فيه أن التتلمذ على الاساتذة المُجلّين في الترجمة يُعين المبتدئ لا على تصويب أغاليطه وحسب ، بل كذلك على الاشرئباب إلى مستويات عليا يجدوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إليها ما بأنسه في أساتذته من دقةٍ وتمكنٍ واستشرافٍ للغايات البعيدة في مجالات الفكر . فالعبرة الرئيسية في الترجمة هي « بالكيف » لا « بالكمّ » ولا « بالسرعة » . فإن اجتمع الكمّ والسرعة إلى عنصر الكيف صار المترجمُ من أعلام عصره الشوامخ . أما السرعة وحدها فهي مجلبةٌ للعثرات ، والكمّ وحده عرضة للثغرات والفجوات ، ولكن الكيف هو في حدّ ذاته القيمة الخالدة لكل ترجمةٍ حريصةٍ على اللفظ والمعنى والأسلوب ، مُرادها محاكاة الأصل بحرفه وروحه ومغزاه ، بل التميز عليه إن أمكن ، ونقل النص إلى القارئين بلسان آخر ، ومنهم كثيرون على غير درايةٍ بلغة النص . وخيرُ ضابطٍ لبلوغ هذا الهدف البعيد القريب في آن هو الأستاذ ، الذي أفنى في الترجمة حياته ، فَبلاَها وخبرها وتخصص في أساليبها وامتاح من مَعينٍ لا ينضب من تجارب هي المعلم الأكبر في الحياة .

وفضلُ الأستاذ الموجه على المترجم المبتدئ فضلٌ لا يُجحد ولا يُقدّر بيدر المال . وإذا جدّ التلميذ في سيره محتذياً أستاذه ، فقد يصبح امتداداً له ويغدو عمله إتماماً لرسالته .

بيد أن الترجمة ليست كالحرفة اليدوية يأخذها التلميذ عن أستاذه أخذ محاكاة ، ولكنها علم وفن معا ، يأخذُ التلميذ أصول ذلك العلم ومبادئه المثلى عن أستاذه ، أما في بابِ الفن فالمجال فسيح لكل مجتهدٍ مجدّدٍ دؤوب . ولعل خيرَ ما يرثه التلميذ من أستاذه التفطن إلى فلسفة الترجمة حتى تتربى فيه ملكة التمييز والمفاضلة وحاسة الفهم للمعاني وظلال المعاني . فالمترجم ليس آلةً ، ومهما ابتُدِعَت الآلات الالكترونية التي تقوم مقام العقل في بعض أعماله ، فلن تستطيع أن تُلغي عمل المترجم ولا سيما مترجم العلوم والمعارف والنظريات . وستبقى الترجمة محصورةً في وظائف العقل البشري يؤديها متى اكتملت له

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العُدَّة ومتى فطن إلى حقيقة رسالة الترجمة من الملازمة المستمرة لأئمة المترجمين ، ثم من خبرة الأيام .

والركن الثالث لإتقان الترجمة هو ركن الخبرة الطويلة التي يُؤتاها المرء في سنواتٍ قد تلتهم العمر كله . وللخبرة شقّان : خبرة من واقع تجارب المترجم نفسه يكتسبها من التجربة والخطأ ، وخبرة من مراجعة أعمال غيره من المترجمين ودرسها درساً مقارناً ، والانتفاع بما فيها من فضائل ، واجتناب ما يشوبها من معايب . والترجمة تقتضي معايشةً للعمل الذي يتصدّى له المترجم ، فيعايش ولو بذهنه مع مؤلفه ، ويعيش مع العصر الذي كُتب فيه النصّ ، ويعيش مع النص نفسه حتى يرهقه المترجم درساً واستيعاباً وتمحيصاً . والقارىء العادي يختلف في القراءة عن القارىء المترجم . فالأول يقرأ قراءة سريعةً ولو تأنى أما الثاني فيقرأ على مهل وفي بطء لأنه سينشغل بعد ذلك بترجمة هذا الأثر ، وقد لا يقنع بقراءة واحدة فيعيد التلاوة مُنعماً النظر في كل كلمةٍ وفي كل حرفٍ ، متشرباً روحَ المؤلف متفهماً غاياته مشاركاً إياه في اهتماماته . ومتى تشبّع المترجمُ تشبعاً تاماً بالبحث الذي يعكف على ترجمته ، هانت عليه مهمته لأنه يكون اذ ذاك مشتغلاً لا بطلاسم ومعميات ، بل بمدركات مفهومة لم يغب من أطرافها شيءٌ عن المترجم الناقل .

وهناك خبرةٌ طولية وخبرة عرضية ، فالطولية لا تتميز بالعمق إلا بعد زمان مديد ، أما العرضية فقد آثرت العمقَ على الامتداد . وتشترك الدواب مع الإنسان في خبرة الطول ، لأنها تتعلم بالتكرار وتعرف مواعيد أكلها وعملها واتجاهات سيرها من طول المعاودة . وإذا زاول امرؤ عمل الترجمة في صحيفةٍ سيّارة فإنه يغدو مع الوقت مترجماً مرموقاً ، أما إذا انكبّ على ترجمة كتاب فلسفةٍ أو قانون أو علم نفس ، فعندئذ لا تنفع خبرةُ الطول التي اكتسبها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمضي الوقت ، ولا بد من خبرة العرض ، أي العمق في الفهم والإدراك مع الإلمام بالمصطلحات المتواضع عليها والقدرة على وضع مصطلحات جديدة كلما تفتق الذهن البشري عن جديد . والمترجم الضليع الذي ينصرف من باكورة حياته إلى الترجمات العميقة الغور يكتسب مع الوقت خبرةً في الاتجاهين : طولاً وعرضاً ، وهي أعظم خبرةٍ إنْ دانت لأحد .

وقد يرى المترجمُ أن يتخصص في فرع من فروع العلم فيقف عليه قلمه وحياته وكلّ جهده واهتمامه ، وقد يرى أن يُعدِّد فروع العلم التي يشتغل بترجمتها ولا سيما إذا تقاربت ميادينها كالجغرافيا والجيولوجيا ، أو علم الحيوان وعلم النبات ، أو الطبيعة والفلك ، فإنْ كان التخصص دأبه فقد عمّق مجال اهتمامه ، أما إن ارتأى التنوع والتعدد ، فقد باتَ عُرضةً للتضحية بالعمق .

« ولكي يكون المترجم مجيداً ، يحسن أن تكون الترجمة هوايةً وعملاً في آن » [١] ، أي أن يشعر المترجم بأنه مقبلٌ على عملٍ يحبه ويهواه ويعشقه ويقضي فيه الساعات الطوال دون أن يستشعر مللاً ولا يبخل عليه بوقت أو جهدٍ في سبيل إتقانه والتفوق فيه . فإذا كان القصدُ من الترجمة التكسب باعتبارها وسائل الظفر بلقمة العيش ، انحرفت عن رسالتها وانقلبت إلى ما يشبه العمل التجاري . فهواية الترجمة خير حافز للمشتغل بها ، تلهمه الاجادة ، وتعوده الصبر على عناء البحث ، وتملأ نفسه رضا بعمله وإقبالاً عليه . وشرّ أنواع الترجمة ما أقدم عليه صاحبه كارهاً وما حسب الناقل تأديته واجباً ثقيلاً . وقد حدثني المترجم العربي الضليع المرحوم عادل زعيتر عن هوايته الترجمة ، فقال إنه لم ير مناصاً لاشباع هذه الهواية من الانصراف عن المحاماة وتدريس القانون ـ وكان

(١) « قضايا الفكر في الأدب المعاصر » لكاتب هذا المقال ـ المكتب الفني للنشر ـ ص ١٠٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مبرّزاً في هذين الميدانين ـ كما إنه لم يقلع عنها إلا عندما بدأ بصره يذوي ونظارته تغلظ ، والا عندما فاجأه مرض القلب مرتين ، وفي الثالثة ألحقه بالرفيق الأعلى . أما ثمرة هذه الهواية الحبيبة لدى عادل زعيتر فتتجلّى في المجلدات الأربعين التي نقلها إلى الضاد بلغةٍ بيانية مشرقة .

والذي تقوم الترجمةُ عنده مقام « الخبز اليومي » يجابه مشكلات لا معدى له عن التماس حلولٍ لها ، سواء من بنات تفكيره أو من تجارب الرّواد في الترجمة .

فمن هذه المشكلات مثلاً شيوع مصطلحات غير دقيقة على الألسنة ، وتعذّر استبدال غيرها بها ، مع تعدّد المعاني التي تؤديها تلك المصطلحات الشائعة . وعلى سبيل المثال نذكر كلمة « فني » العربية فإنها تستخدم لتأدية معاني ثلاثة مصطلحات فرنجية هي : Technical و Technological و Artistic . وقد جرى بعض المترجمين على استخدام لفظة « تقنيّة » لتأدية معنى Technological ولكن الأذواق ما زالت تنفر منها . فإذا كان المترجم ينقل نصاً من العربية إلى الانجليزية ووقع فيه على لفظة « فني » ، حار في اختيار المرادف المقصود ، ولا ينقذه من هاته الحيرة إلا سياق الكلام .

فان كان المترجم منصرفاً إلى نقل نصٍ انجليزي إلى اللغة العربية فقد تصادفه مشكلة مماثلة مؤدّاها أن المصطلح الانكليزي بمشتقاته يتخذ أشكالاً مختلفة باللغة الضادية . ونذكر على سبيل المثال لفظة Nation ومشتقاتها Nationality و Nationalism و Nationalization و National و International فان لفظة Nation مشتركة في جميع هذه الألفاظ دون استثناء ؛ أما في الضاد ، فقد ترجمت هذه الألفاظ على التوالي كما يلي : أمة (أو قوم) وجنسية (أو تابعية) وقومية وتأميم ومواطن (أو رعية) ودولي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاذا ترجمنا National bank كانت الترجمة البنك الأهلي ، وإذا نقلنا إلى الضاد National anthem جاءت السلام الوطني . ولا حيلة للمترجم أمام هذه الألفاظ العربية الكثيرة التي ليست بينها صلة اشتقاق ، وهو مضطر بحكم شيوعها إلى استخدامها ولو حسب القارىء العربي أن الرابطة بينها مفقودة ، في حين أن القارئ بلغة شكسبير يتبين هذه الرابطة للوهلة الأولى .

ومن مشكلات الترجمة المفاضلة بين الترجمة الحرفية والترجمة بتصرّف . ومؤكد أن كفة الترجمة الحرفية أرجح ، إلا إذا أهدرت المعنى وهلهلت الأسلوب فان جاز للمترجم أن يطلق لنفسه حرية التصرف ، فلتكن تلك الحرية مُسيجةً بسياج من الأمانة وحُسن الفهم وأداء المعنى ، ولتكن الحرية معصومةً من الشطط بريئة من جناية إقحام معانٍ على نص لم ترد فيه . والمترجم المكين هو الذي قطع في الترجمة أشواطاً بعيدة هوّنت عليه مُهمة الترجمة الحرفية دون التضحية بتراكيب الجمل أو ببلاغة اللغة أو بوضوح المعنى . فلن يتسنى للقارىء أن يكوّن فكرة صحيحة عن كاتبٍ ما إلا إذا روعيت الحرفية الدقيقة في ترجمة آثار ذلك الكاتب دونما إخلال بروح النص فضلاً عن حرفه .

ولعل أكبر مشكلات الترجمة هي مشكلة المصطلحات العلمية . فهناك مصطلحاتٌ انعقد عليها الاجماع ولم يعد يختلف في أمرها . بيد أن هناك مصطلحات غيرها تعددت ترجماتها وصار حتماً على المترجم أن يفاضل بينها بحاسيّته العلمية وذوقه الأدبي وإدراكه العميق ليتخير منها أصلحها ، وقد يهجرها جميعاً إلى مصطلح يبتدعه ويعمل تعميمه . ثم ان اطراد التقدم في ميادين العلم يتفتق كل يوم عن مصطلحات فرنجية جديدة ليس لها مقابل موضوع ولا تُعين المعاجم في ترجمتها . وهنا تتجلى عبقرية المترجم ، إذ عليه أن يصوغ لهذا المصطلح الجديد الوافد مقابلاً له باللغة التي ينقل إليها يُراعي فيه دقة التعبير عن المعنى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسهولة النطق والاستعمال والبعد عن الالتباس . وقد أورد الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي في كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» القواعد السليمة لوضع المصطلحات العلمية فجاء بحثهُ هذا خيرَ هادٍ لكل سائرٍ في درب الترجمة .

ولا ريب في أن ترجمة أمهات الكتب ينبغي أن تسبق ترجمة ما هو عالةٌ عليها . وما دامت الترجمة عملَ الأفراد لا الهيئات — إلا في القليل — فليكن رائد المترجمين طلب المعالي ، ينقلون العصيَّ قبل الهين ، ويعنون بالتراث العلمي الإنساني قبل العناية بقشور المعارف ، فما زالت المكتبةُ العربية فقيرةً في ترجمات التراث الغربي ، وما زال جهد المترجمين متواضعاً إذا قويل بالعبء الثقيل الملقى على عواتقهم ، وما زال عدد المترجمين المتمكنين ضئيلا في البسيط العربي .

(القاهرة) وديع فلسطين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net